بلاغـة الحِجـاج التّشبيهيّ في الحديـث النّبـويِّ الشّـريف

أ. د. عقيـد خـالد حمـودي

الجامعة المستنصريّة ، مركز المستنصريّة للدِّراسات العربيّة والدوليّة – العراق

The rhetoric of the analogous Persuasion in the Hadith of the Prophet

Prof. dr. Aqeed Khalid Al-Azzawi

Al Mustansiriyah University, Al Mustansiriyah Centre for Arabic and International Studies - Iraq

الملخص

فإنَّ الخطاب النبوي الشريف هو كلام منطوق صادرٌ عن النبي المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى في شتى المناسبات والأغراض، في مقام معيّن، عبر قناة ملفوظة، أو إشارة قبل أن يدوّن في الصِّحاح والمسانيد، مسوقاً إلى الناس عامَّة، وإلى المسلمين والمؤمنين خاصّة من أجل إبلاغ وتبليغ الدّعوة الإسلامية، فاقتضاؤه مُخاطِباً ومُخَاطَباً، أي: باثّاً ومتلقياً، وتضمنه حواراً من جهة، وظهور ضمائر الخطاب من الدرجة الأولى لتكليف المسلمين، وتوجيه الخطاب لهم مشافهة من جهة أخرى، كُلّ ذلك يسمح بجواز تسمية الحديث النبوي الشريف خِطاباً.

كلمات مفتاحية: (البلاغة ؛ الحجاج التشبيهي ؛ الحديث النبوي).

Abstract

The noble prophetic discourse is a spoken speech issued by the infallible Prophet who does not utter whims and desires, on various occasions and purposes, in a specific context, through a vocalized channel, or a sign before it is recorded in the 'Sahih' and Musnad books, and is marketed to people in general, and to Muslims and believers in particular for the sake of learning and informing the Islamic vocation. So, as it includes addresser and addressee, that is, the transmitter and the recipient, and as it includes a dialogue on the one hand, and the emergence of first and second person singular pronouns to assign Muslims, and direct the speech to them verbally, on the other hand, all of this allows us to be permissible to call the noble prophetic hadith as a discourse.

Keywords: (the rhetoric ; the pilgrims ; the prophetic hadith).

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ ..

فكان اهتمام الدّارسين بالحِجاج كبيراً وبحِجاجِيّة الفعل الكلامي على النصوص مُركزاً، يعدّ الحِجاج من أهم الوظائف التداولية للفعل الكلامي، ولارتباطه بنجاح أو فشل العملية التواصلية ايضًا.

إنَّ الخطاب النبوي الشريف هو كلام منطوق صادرٌ عن النبي المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى في شتى المناسبات والأغراض، في مقام معيّن، عبر قناة ملفوظة، أو إشارة قبل أن يدوّن في الصِّحاح والمسانيد، مسوقاً إلى الناس عامَّة، وإلى المسلمين والمؤمنين خاصّة من أجل إبلاغ وتبليغ الدّعوة الإسلامية، فاقتضاؤه مُخاطِباً ومُخَاطَباً، أي: باثّاً ومتلقياً، وتضمنه حواراً من جهة، وظهور ضمائر الخطاب من الدرجة الأولى لتكليف المسلمين، وتوجيه الخطاب لهم مشافهة من جهة أخرى، كُلّ ذلك يسمح بجواز تسمية الحديث النبوي الشريف خِطاباً.

وإذا كان مدار الشرف في الحديث الشريف، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال، كما يقول الجاحظ وكذلك أهل البلاغة، فإنَّ هذه الصفات تنطبق تماماً على الحديث النبوي الشريف، الذي هو وحيٌ من الله قال تعالى:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ النجم: ٣ - ٤

ومع هذا الشرف الرفيع، إنماز بخصائص بنائه التركيبي؛ التي تجعل منه خِطاباً متميزاً بصدق القول، والفصاحة، وشرف، المعنى ودقتِّه، ومتانة التركيب، وطلاوة سَبكِهِ، وسحر البيان وجمال معرضهِ، وإيجاز التعبير وبلاغتهِ، وروعة البيان وقوّة حجتِه، إنَّهُ البيان النبوي الشريف الذي يمثل سنن الكلام العربي خير تمثيل. فخطابه ﷺ رسالة إبلاغية تحمل إلى الناس مقاصد الشريعة الإسلامية السامية ومقاصدها ، وغايات العقيدة الصحيحة، قَصْدَ إسعادهم في الدنيا والآخرة، يخاطب في متلقيه العقل بالحجة والإقناع، والقلب بالبلاغة والتأثير، إنَّه إنجاز تأثيري جاء ليُغير ويبني، ويعلِّم.

المبحث الأوّل
تأريخيّة الحِجاج ودلالته المعجميّة والاصطلاحيّة
المطلب الأوّل
الدَّلالة المعجميّة والاصطلاحيّة للحِجاج

لم يكن مفهوم الحِجاج وليد العصر، فهو مصطلح قديم تعددت معانيه المعجمية والاصطلاحية، ويعدّ الحِجاج ميزة من ميزات التخاطب، فهو يعدّ ركيزة النصوص المتضمنة للمقصديّة والنقاش والنقد والجدل، وتعود أهمية الحِجاج في الدِّراسات الحديثة إلى العودة القويَّة للبلاغة الحديثة، التي تهتم باستراتيجيات التحليل للخطابين الشعري والنثري السردي عبر مفاهيم اللسانيات والمنطق ونظرية القراءة والتلقي وتحليل الخطاب ، والتي ركّزت على جانبين أساسيين هما البيان والحِجاج مع التعامل بالقليل مع بقية الجوانب الاخرى ، وكوسيلة أساسية من وسائل الإقناع.

الحِجاج لغةً:

تكاد تجمع غالب المعاجم العربية في تعريفها للحِجاج، وبحسب ما ذكره ابن فارس فيحصر مادة (حَجَجَ) في أربعة معانٍ الحاء والجيم أصول أربعة: الأول: القصد وكل قصد حج ... ثُمَّ اختصَّ الاسم، القصدُ إلى البيت الحرام، والثاني: الحِجَّةُ وهي السُّنة والثالث: الحِجاج: وهو العَظمُ المستدير حول العين، والرابع الحَجْحَجَةُ: النكوص[1].

وذهب ابن منظور بقوله: «حاججتهُ، أحاجّه حِجاجاً حتى حجَجتُه: أي: غَلبته بالحُجِج التي أدليت بها، والحُجّة: البرهان وقيل: الحُجّة ما دافع به الخصم، وقال الأزهريّ: الحُجّة الوجه الذي يكون بِهِ الظفر عند الخصومة، وهو رجلٌ مُحاجِج: أي: جَدِل، وفي الحديث الشريف: [فحجَّ آدم موسى: أي: غلبه بالحُجّة][2].

ويعرّفه الجرجاني: «الحجّةَ: ما دُلَّ بِهِ على صحة الدعوى، وقيل: الحجّة والدليل واحد»[3] فأساس الحِجاج عنده الارتكاز على دليل معيّن قُصِدَ به إثبات قضية من القضايا الغرض منه ، الإقناع عن طريق الجدال الفكري.

يلحظ بوساطة هذه التعاريف اللغوية لكلمة ومفردة الحجاج، أنَّها تدلُّ على التخاصم والتنازع والتغالب، واستعمال الوسيلة المتمثلة في الدليل والبرهان، أو هو ما دلَّ على النزاع والخصام استعمال الأدلّة والبراهين والحُجج، بعدّ أنَّ الحِجاج لابُدَّ من طرفين متخاصمين أو متنازعين يغلب أحدهما الآخر.

وعلى هذا يجب الحذر ممَّا ذهب إليه قدماء اللغويين العرب في معاجمهم؛ إذ جعلوا الحِجاج مرادفاً للجَدلِ،

واستعمال أحدهما معطوفاً على الآخر باعتبارهما مُترادفين، وهذا من شأنه أن يُضيّق مجال الحِجاج، ويغرقُه في الجدل، فالحِجاج أوسع من الجَدلِ؛ فكل جَدلٍ حِجاجٌ، وليس كُلّ حِجاج جدلاً[٤].

فالاحتجاج من مصطلحات النقد العربي القديم، وهو لون من ألوان الكلام سمّاه جماعة من العلماء منهم أبو حيان الأندلسي، وابن قيم الجوزية، وسمّاه الزركشي إلجام الخصم بالحُجّة، والبلاغيون يسمونه بالمذهب الكلامي[٥].

والسبب الذي جعل هذه المفردات ترد بمعنى واحد في أكثر القواميس العربية هو وجودها ضمن دائرة البيان والبلاغة الإقناعية[٦].

الحِجاج اصطلاحاً: يختلف مفهوم الحجاج من حقل إلى آخر، فهناك المفهوم الفلسفي، والمنطقي، فضلاً عن المفهوم البلاغي والتداولي المنبثق من رؤية لسانية، وهذا التنوع جعله من المفاهيم المثيرة للالتباس التي يصعب الإحاطة بها. فهو ينماز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله؛ إذ نجدهُ في الأدبيات المعاصرة والقديمة. ولا تكاد تخلو كتب التراث الإسلامي من ذكر وتناول هذا المصطلح، وقد ذكرته بصيغة المُحاجّة والاحتجاج في مسائل عدة ذوات الطابع الفلسفي، والفكري، وقد استعملت أيضاً مصطلحات مقاربة لمعناهُ مثل الجدل، والمناظرة، والاحتجاج ؛ فتقاربت معانيها، وترادفت، واجمعت تلك المصادر على أنَّ الحِجاج مصطلح يقصد به المفاوضة على سبيل المنازعة، والغلبة والمغالبة لإلزام الخصم، ومما لا شك فيه أنَّ هذا المصطلح بمفهومه الفلسفي؛ يختلف عمَّا جاء في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وربما قارب في بعض نواحيه الفلسفة؛ لكنه ظل قائماً بذاته، وبحقله الدلالي الخاص به الذي إنماز عن غيره. فمفهوم الحِجاج في القرآن الكريم ورد بمعانٍ مختلفة في عشرين موقعاً[٧] فورد بمعنى جَادل وحَاور وناقش وبمعنى نازع وعادى، واستعمل اللفظ بمعنى العُذر، والتعليل، والدليل، والبرهان، كما ذكر الله تعالى الجدل، والتخاصم بمعنى الاحتجاج، ومن خلال تتبع اللفظة (حَجَجَ) ومشتقاتها المستعملة في السياق القرآني، واستقراء معانيها؛ يمكن الوصول إلى النتائج الآتية: إنَّ هذه اللفظة استعملت بمعنى الجدل، والتخاصم، والعذر، والدليل، والبرهان، وهي لم تخرج عن معناها الذي سيقت لهُ في المعاجم إلاَّ في بعض الدلالات التي تختلف في مفهوماتها الفلسفية التي وجدت فيه.

وأمَّا الحِجاج في الحديث النبوي الشريف فورد باشتقاقات متعددة في طائفة من أحاديث الرسول ﷺ فجاءت بمعنى اختصمت واحتجت كما في حديث الرسول ﷺ [اختصمت النار][٨] وغيرها من الأحاديث الكثيرة، ولكن بمعنى ودلالات مختلفة، لكنها لا تخرج عن معناها القرآني والمعجمي[٩].

وقد ورد مصطلح الحجاج في الشعر العربي، وهو كثير، ومن أمثلة وروده قول ورقة بن نوفل[١٠]:

بأنَّ محمداً سيسود فينا ويَخْصِمُ من يكون لهُ حجيجاً

وعليه فإنَّ الحِجاج: «جنسٌ خاصٌّ من الخطاب، يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعوات مستندة إلى تبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً المقصد منها إقناع الآخر بصدق دعواهُ والتأثير في مواقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية[١١].

وهذا ما نذهب إليه كتعريف جامع مانع شامل لكل آليات وخطوات الحجاج، فهو أولى بالدراسة، وأحق بالعناية .

والحِجاج في الحديث النبوي ليس غاية في حدِّ ذاته، ولكنّه وسيلة لتحويل المضامين التشريعية، والتربوية إلى منجز فعلي، وواقع سلوكي، حيث السعي إلى الإقناع وتمكين الفكرة وتحويلها من فكرة قابلة للنقاش إلى يقين ثابت مستقر وليس وسيلة لتحقيق غاية الإبلاغ، وهذا جعل الحِجاج ينماز بعدد من الخصائص التي تُفرِّقُه عن أيِّ حِجاج آخر، انطلاقاً من خصوصية الخطاب النبوي نفسه.

فالحِجاج في الحديث النبوي الشريف: حِجاج خالٍ من الصراع والمواجهة، وهو حجاج صادق يشتمل على مادة لغوية تهدف إلى التواصل، لتحقيق مقاصد نفعية، ويسعى الحِجاج النبوي إلى تغيير رأي السامع واستمالته. وتتعدد آليات الحِجاج في الحديث النبوي الشريف، فهو خطاب حِجاجي بامتياز لكونه يعمل على استمالة الآخر للتأثير فيه، لا من حيث أفكاره فحسب، بل من حيث مواقفه، وما يترتب عليه من سلوك واقعي ملموس[١٢].

فالحديث النبوي الشريف ليس مجرد مصدر نتعلم منه ديننا، بل نجد فيه تفصيلاً لآيات القرآن الكريم. فهو أثرى الخطابات مادة لدراسة الحجاج في بنيته وآلياته فهو خطاب يتناول وجود الإنسان فكراً وديناً وأخلاقاً؛ وهو يتخذ جملة من الأدوات التي تدفع بالمتلقي إلى التأثر والاقتناع.

ولذا فالخطاب الديني سواء أكان قُرآناً أم حديثاً نبوياً شريفاً هو من أثرى الخطابات مادة لدراسة الحِجاج في بنيته وآلياته.

فالحديث من المنحى اللغوي هو الجديد، وهو عكس القديم، وهو الجديد من الأشياء، وهو ما أضيف إلى رسول الله ﷺ، أو هو ما أثر عن الرسول ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصف خَلقي أو خُلقي، وهو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم[١٣]. وقد ذكر الجاحظ بأنَّ كلام الرسول ﷺ هو: «الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، ونُزِّه عن الصنعة والتكلّف، استعمل المبسوط في موضع

البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي، وبين حُسن الإفهام وقلّة عدد الكلام، ولم تسقط له كلمة ولا زلّت لهُ قدم ولا بارت لهُ حُجّة، ولم يقم له خصم، ... ولا أصدق لفظاً ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهباً، ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقفاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح عن معناه، ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ»[١٤].

المطلب الثّاني
تأريخيّة الحِجاج

أولاً: الحِجاج في الدّرس العربي القديم

التفت الجاحظ(ت٢٢٥ ه) إلى الحِجاج في مواضع عدة من كتابه البيان والتبين، منها قوله: «جماع البلاغة البصر بالحُجَّة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذ كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحاً أبلغ من الدرك، وأحق بالظفر»[١٥] فالجاحظ يورد قول بعض أهل الملل من الهنود مشيراً إلى حسن اختيار الحجج التي تتناسب بدورها مع المقام الموضوعة فيه، مُلتفتاً إلى توضيح بعض تقنيات البصر بالحجة، وهي كناية إذا كان التصريح طريقة غير مأمون رغبة في تحقيق الغاية من الحجاج، وهي الظفر بالخصم، ويكون البصر بالحجة طريقة في انتفاء الحجج في أثناء العملية الحجاجية مشروطة بمناسبتها للمقام[١٦].

إنَّ الجاحظ أحاط الحجاج بإطار ديني مخصص يضمن أن تكون الحُجّة فيه غير منحرفة عن الحق والصدق، وغير خارجة عن طريق الصواب تحت مظلة أنَّ الغاية تبرر الوسيلة، وهذا يتصل بأخلاقيات المحاجج قال: «لا يلتمس إسكات الخصم إلاَّ بما يعرفه الخصم، ولا يحتج إلاَّ بالصدق، ولا يطلب الفلج إلاَّ بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز»[١٧].

وهذا يوضح للقارئ كون الحِجاج بلاغة من خلال قرع الحُجّة الموضحة عن البيان تأثيراً وإقناعاً.

وأمَّا ابن وهب(ت٣٥٣ه) فقد تناول الحِجاج من خلال قضية الجدل والمجادلة؛ إذ قدّم تعريفاً دقيقاً بقوله: «وأمَّا الجدل والمجادلة فهما قول يقصد بهِ إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات والتنصل من الاعتذارات، ويدخل في الشعر والنثر»[١٨]، وقد وضع مبحثاً للجدل أو الحجاج بوصف كلٍّ منهما يراد منه إقناع الخصم، وإلزامه الحجة، وهذا المعنى هو ما يوافق التعريفين اللغويّ والاصطلاحي. والذي نلاحظه أنَّ ابن وهب أسهب كثيراً في الاحتجاج، وخصّه بكثير من الأمثلة والاستشهادات، وكذلك تحدث عن مباني الحجاج والغاية منه[١٩] ويُفهم من كلام

ابن وهب أنَّهُ اصطلح على الحجاج بالجدل، والقائم على البنية اللفظية بين طرفين يريد كلّ منهما استمالة الآخر بإقامة الحجة، إذ أكّد على وجود الحجاج في شتى المجالات والميادين.

ويذكر أبو هلال العسكري(ت ٤٠٠ه) الحِجاج تحت عنوان (في الاستشهاد والاحتجاج) في كتابه الصناعتين بقوله: «كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صيغة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن يأتي بمعنى ثُمَّ تؤكده بمعنى آخر هو الحجة التي تكون استشهاداً على صحة المعنى الأول والحجة على صحته»[٢٠].

نجد هذا النص والنصوص الأخرى أنَّ أبا هلال ربط الحِجاج بالشعر، أي: أنَّ للشعر وظيفة حِجاجية كبيرة؛ لأنَّ الشاعر يقول: كلاماً يشعر به، ويحسّه دون غيرهِ؛ لذلك فهو يريد أن يصل إلى أهداف ومرامٍ حجاجية من خلال شعره، وهذا بحد ذاته أعطى للشعر قيمةً حجاجية أرادها كوظيفة يبثها الأديب أو الشاعر في شعره. فالشعر هو الفن الأساسي الذي تقام به الحِجج، كما تكلّم أيضاً عن قضية المقام وكيف يضطلع في الحجاج.

وتناول أبو الوليد الباجي(ت٤٧٤ه) الحِجاج في كتابه (المنهاج في ترتيب الحِجاج) وعدَّ الحِجاج علماً من أرفع العلوم قدراً وأعظمها شأناً، لأنَّهُ السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجّة، ولا اتضحت محجّة، ولا يعرف الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم[٢١].

يفهم من هذا الكلام أنَّ الحجاج هو المرادف للجدل في فكر الباجي. في حين كان اهتمام علماء البلاغة وأقطابها بفكرة المقام ومطابقة الكلام لمقتضى الحال. وهذا الأمر واضح مقولتهم المشهورة والتي عدّت قاعدة أساسية في دراستهم (لكل مقام مقال)التي تكلم عنها الجاحظ وابن قدامة وابن طباطبا ، وهي نفس الفكرة التي ذكرها أبو هلال العسكري في كتابه؛ إذ قال: «ولا يُكلَّمُ سيد الأمة بكلام العامّة، ولا الملوك بكلام السُوقة؛ لأنَّ ذلك جهل بالمقامات ولا يصلح في كلّ واحد منها من الكلام وأحسن الذي قال: لكل مقام مقال»[٢٢]. إذ إنَّ تحقيق التواصل الجيد بين المتكلم والمخاطب هو الغاية من مراعاة المقام، وينبغي عدم استعمال الألفاظ الغريبة في العملية التواصلية وهذا ما أثبته أبو هلال العسكري بقوله: «واعلم أنَّ المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال .. فإذا كنت متكلماً أو احتجت إلى عمل خطبةً لبعض ما تصلح الخطب، أو قصيدة لبعض ما يراد لهُ القصيد، فتخط ألفاظ المتكلمين ... فإنَّ ذلك هُجنّة»[٢٣] يُفهم من حديثه هو ربط المقام بتعبير الغموض المنشود، ويجب على الخطيب والشاعر استعمال الوسائل للتأثير في

المتلقي وإقناعهِ. هذه آراء علماء المسلمين في الحجاج.

ويأتي السكاكي(ت٦٢٦ه) فيجعل الحجاج في علم الاستدلال، وهو أن: «يسمُّوا الجملة حجّة واستدلالاً، مع اكتساب وإثبات أو نفي بوساطتها»[٢٤]. والاستدلال مبحث من مباحث علم المنطق، ويختص بإقامة دليل لإثبات المطلوب، وهو الخبر[٢٥]، فالسكاكي يشير إلى كون الجملة تحمل طبيعة استدلالية ذات صبغة حجاجية من كون الخبر يستطيع النفي والإثبات للمبتدأ.

وقد قسَّم السكاكي البلاغة على أُسس منطقية في كتابه الآنف الذكر ، إلى معانٍ وبيان وبديع، فقد ربط البيان بالدليل، لأنَّ فروعه المعروفة كالتشبيه والاستعارة بمثابة الدليل والحُجّة للإقناع، لذلك نجده يقول: «من أتقن أصلاً واحداً من علم البيان كالتشبيه أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقهِ لتحصيل المطلوب بهِ، أطلعهُ ذلك على كيفية نظم الدليل»[٢٦].

كما وضح أنَّ العلماء وأصحاب العقول من القدماء قد اهتموا بقيمة الاحتجاج، وإقامة الحجة، وقد اشترط ابن وهب في أدب الجدل ما يأتي:

- أن يحلم المجادل عمَّا يسمع من الأذى والنبز.
- ألاَّ يعجب برأيه وما تسوله له نفسه.
- ألاَّ يستصغر خصمه ويستهين بهِ، وأن يطلب الإنصاف من خصمه، ويقصده بقوله، وحجّتهِ[٢٧].

ثانياً :الحِجاج عند الفلاسفة الغربيين القدماء

كانت النظريات الأولى للحِجاج عند السفسطائيين وظهرت كحركة فلسفية وظاهرة اجتماعية في حدود القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان على يد فلاسفة كبار أمثال أرسطو وأفلاطون والسفسطائيون قدموا للحِجاج البذور الأولى والمكونات المحورية لهُ، وقد تميّز روادها بالكفاءة اللّغويّة وبالخبرة الجدلية، وقد كان لوجودهم أثر كبير في تطور البلاغة القولية التواصلية والحياة الفكرية عامة[٢٨].

لقد اهتم السفسطائيون ببنية الكلمة والجملة، وبحثوا في السبل الممكنة؛ التي يتحقق الإقناع بها، وتغيير مواقف الآخرين، واستعانوا في سبيل ذلك بخبرة بالغة بمقامات الناس وبآليات إجراء اللغة بحسب المقاصد والظروف التواصلية.

ووصلت عنايتهم بالاحتجاج أن جعلوا الخطابة في مقدمة الصنائع الإنسانية، لكن يُعاب على السَّفسطائيين أنّهم دربوا تلاميذهم على (الغلبة على الخصوم بحق أو بغير حق) بل درّبوهم كيف يُزيّفون الحقَّائق

ويقَبِّحونها، وكيف يُزِّينون الباطل ويحسّنونه من خلال الحِجاج[٢٩].

لقد كان للحِجاج والبلاغة السفسطائية عمق وجودى متأتيان من تصورهم للخطاب ومن دوره في تحقيق الوجود وتجسيد الحضور، ونفي الغياب، وإن كان هذا الحضور (اللغويّ) في نظرهم يظل مجازاً، إذ هو تجسيد صوتي للغياب العيني من هنا كانت الخطابة والحجاج لإحداث التفاعل الوجودي بين البشر.

وقد عمد السفسطائيون «فيما يستفهم للحِجاج إلى بناء حجّتهم على فكرة (النفعيّة) المتعلقة (باللّذة) وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام، وتعد فكرتا (التوجيه) و(التوظيف) من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحِجاجية المعاصرة»[٣٠].

ولم يتقبل سقراط آراء السفسطائيين؛ عندما اهتموا بالشَّك والظنِّ، فدافع عن الفلسفة باعتبارها المسلك العلمي الصحيح للوصول إلى الحقيقة معتمداً في ذلك على العقل والجدل التوليدي والبرهاني.

وهاجم أفلاطون بقوّة النسبية عند السفسطائيين، الذي كان يرغب بجعل البلاغة أداة فكرية لخدمة البحث عن الحقيقة، وليس فقط آلية للإقناع بالآراء التي تتشكّل خارجها[٣١]. وقد وصف الخطابة بأنها صناعة إقناع قال: «أليست الخطابة على الجملة صناعة قيادة النفوس بالقول لا في المحاكم والمجالس العامة فحسب بل في الاجتماعات الخاصة»[٣٢]. ومن خلال نظرية (المُثُل) التي دعت لتجاوز الحواس كوسيلة معرفيّة والاهتمام بالعقل للوصول للمعرفة، فالحِجاج السُّفسطائي يُزيف استعمال اللغة، ولم يجدلهم لهم مقتلاً أفضل من فن القول، كما اهتم بالحجاج الأخلاقي الذي سمّاه المثالي، وتمَّ نقده وتجاوزه قديماً من قبل تلميذه أرسطو، وحديثاً من قبل أهل البلاغة المعاصرة أمثال (بيرلمان وأوليرون) وأبسط نقد وجه للطروحات الأفلاطونية أنَّهُ لا يخدم التطورات الإنسانية المتلاحقة[٣٣].

أمَّا الحِجاج عند أرسطو فمختلف تماماً عن سابقيه.

إنَّ دراسة أرسطو للحِجاج قامت على دعامتين أساسيتين:

الأولى: تقوم على مفهوم الاستدلال .

والثّانية: تقوم على البحث اللغويّ الوجودي[٣٤].

إذ يُعدُّ أرسطو من أوائل الذين نظروا للبلاغة من خلال رؤيته الحجاجية، إذ خصّها بكتابين مُهمين هما (الريطوريقيا يعني الخطابة ، البلاغة) و(والحجج المشتركة) محاولاً تقعيد الحجاج مبيّناً موضوعاته في الأفعال الإنسانية التي تتصف بالغموض ولا تلتزم بقاعدة أو فن منتظم[٣٥]. وقدم أرسطو مفهوماً للحجاج جعله قاسماً مشتركاً بين الخطابة والجدل حيث جعلهما «قوتين لإنتاج الحجاج». بمعنى أنَّ الخطابة

تعتمد للحجاج شأنها في ذلك شأن الجدل، مع اختلاف في بنيتيهما يقول أرسطو: «كما أنَّ للجدل ضربين من الحجاج هما الاستقراء والقياس الحقيقي أو الظاهري، فالأمر كذلك فيما يتصل بالخطابة؛ لأنَّ المثل استقراء، والضمير قياس ظاهر، وتبعاً لذلك فإنني أسمي ضميرا القياس الخطابي، وأسمي المثل استقراءً خطابياً»(٣٦).

إنَّ هذه العلاقة القائمة بين الجدل والخطابة من جهة نوع الحجج تجعل الخطابة كما وضحها أرسطو نفسها فرعاً من الجدل.

وهذا الاستدلال لا ينطلق من فراغ بل من معارف سابقة، ومن ثمَّ يمكن أن نستعمل الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي والبلاغي، بوصفه المنهجية التي يسلكها الفيلسوف والبلاغي بهدف إرساء حقيقة معينة ضمن مدارات واحدة، ومركز هذه المدارات عرض الحقيقة العقلية أو اللفظية عرضاً استدلالياً متماسكاً تواكبه إجراءات حجاجية متناسقة مع إنجازات لسانية وبلاغية(٣٧).

وخلاصة ما قيل يتضح لنا أنَّ الحِجاج عند البلاغيين والفلاسفة حظي بتسميات عِدّة كالجدل والمناظرة والبيان، وقد تم تناوله في الشعر، وعلم الكلام، والمخاصمة، والمحاججة في شتى المجالات، ومع كلّ هذا التنوع يبقى مفهوم الحِجاج واضحاً بيّناً بين التعريفات السابقة، وهو تقديم الحُجج المؤدية إلى نتيجة معينة الغاية منها الإقناع والإفهام، وهذا فيما يخص علم البلاغة.

ثالثاً :الحِجاج عند المُحدثين

أخذ مفهوم الحِجاج في العصر الحديث دلالات أعمق وأدق من ذي قبل، إذ صار مفهوماً لغوياً بلاغياً، مستقلاً عن صناعة الجدل من منحى، وعن صناعة الخطابة من منحى آخر(٣٨). وأخذ يُدرس في المنظور اللساني والتداولي، وبهذه الرحلة للحِجاج استفاد الدّرس الحِجاجي من التراث اليوناني القديم، ثم بعث ودرس في ثوب جديد وهو النظرية الحجاجية(٣٩).

وقد شكّل الحِجاج في العصر الحديث حلقة وصل بين علوم شتى، فنالت الدّراسات الحديثة الحظ الأوفر عند الباحثين المعاصرين، فكانت انطلاقته الأساسية على يد بيرلمان وتيتكا في الحديث عن البلاغة الجديدة.

بيرلمان وتيتكا:

حاول بيرلمان(١٩٨٤ ه) وزميلته(١٩٨٧ه) أن يجعلا من النظرية البلاغية أداة تفسير وتحليل لكثير من الظواهر الفلسفية والقانونية، من هنا بزغت رؤيتهما وتصوراتهما للحِجاج والدفاع عن أهميته وجدواه

ضمن المفاهيم البلاغية والفلسفية والقانونية. فانطلق كتابهما (مبحث في الحِجاج، والخطابة الجديدة) بناء نظرية حِجاجية معاصرة لها مبادئ وأسس يقوم عليها الحِجاج وإبعاده عن المنطق والاستدلال، مقربين إيّاه لمجالات اللغة والفلسفة والقانون[٤٠].

والحِجاج في نظرهما، يتجاوز النظر فيما هو حقيقي مثبت، إلى تناول حقائق متعددة، فمبعثه هو الاختلاف، وشرطه أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف مع المُحاج موقف الشريك المتعاون من أجل تحقيق غايته وهو استمالة – المتلقي – لما يُعرض عليه ويجعل العقل يُذعن إليه ولطرحه، وأن يزيد في درجة إذعانه باستعمال وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه[٤١]. وهو على ضربين:

الأوَّل: تمثله البلاغة البرهانية، إذ يقوم على البرهنة والاستدلال، وهو خاص بالفيلسوف وجمهورهُ ضيق وغايته بيان الحق.

الثَّاني: حجاج أوسع، يهتم بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي، وقد قسَّما الحجاج على خمسة ملامح رئيسة:

١. أنْ يتوجّه إلى مُستمع.

٢. أنْ يُعبّر عنه بلغة طبيعية.

٣. مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية.

٤. لا يفتقر تقديمه إلى ضرورة منطقية.

٥. ليست نتائجه مُلزمة[٤٢].

إنَّ هذه الملامح المتعلقة بالحجاج عند بيرلمان تبرز التقنيات البيانية والبلاغية لانَّ البلاغة الغربية تفترق عن البلاغة العربية القديمة أو الحديثة والتي هي انواع من الاسلوبية مثلما يرى اغلب البلاغيين المحدثين ٠

يتضح مما تقدم أنَّ بيرلمان وتيتكا حصرا أشكال الحجاج في طريقتين حجاجيتين هما: طريقة الوصل، وطريقة الفصل.

وطريقة الوصل: أو الطرائق الاتصالية التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها، فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة، ولغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويماً إيجابياً أو سلبياً[٤٣].

أمَّا طريقة الفصل أو الطرائق الانفصالية: ولا يقع هذا الفصل إلاَّ في العناصر التي تؤلف وحدة واحدة يتم تجزئتها لغايات حجاجية، من ذلك كيف توظف عناصر الربط والوصل والعطف النحوية في الخطاب

الحجاجي، وكذلك استخدام جمل اعتراضية مؤكدة ناقضة لما قبلها أو بعدها، وغالباً ما يستخدم ذلك في الحدود والتعريفات.

وحصيلة هذه التقنيات الحجاجية كلها – في نظر بيرلمان وتيتكا – أن يكون الخطاب في الحجاج على قدر المقام، بحيث يتطابق موضوع الخطاب وأسلوبه فلا يضطر المحاجج في أوقات لاحقة من خطابه إلى التراجع أو تغيير المواقف والمواقع.. التي تفقده مصداقية الحجاج(٤٤).

وهناك علماء تناولوا الحجاج أمثال (ستيفن تولمين ٢٠٠٩) وكان مفهومه للحِجاج يهدف إلى دراسة الأدوات الحِجاجية في الاستعمال اللغويّ، وذكرهُ أنَّهُ يقوم على ثلاثة أركان أساسية: المصرح به، النتيجة، الضمان.

أمَّا الحِجاج عند (أوزفالد ديكرو وأنسكومبز) في كتابيهما (الحِجاج في اللغة) هو حِجاج لساني بحت وهو تتمة للأسلوبية حينما مالت الى الجانب الصوتي في التحليلات الأسلوبية الحديثة، وقد حصراه في اللغة ودراستها؛ إذ يرى (ديكرو) أنَّ كلّ قول يحتوي على فعل إقناعي، فأن تتكلم يعني أنك تحتاج إلى (كلّ قول = حجاج) ولا يوجد كلام دون دواعٍ وشحنة حجاجية، فالحِجاج عنده «علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة»(٤٥).

هذه الآراء التي ذكرناها نستطيع أن نقول: إنَّ الحجاج هو مجال غني من مجالات التداوليّة، يشترك في العديد من العلوم، ولكنه أقرب الى الحقل البلاغي والحِجاجي، ونجد أكثر الدارسين اليوم من عدّهُ (خطابة) أي: البلاغة الجديدة بعيداً عن الجدل والمنطق. وهذا ما يهمنا في دراسة بحثنا عن آليات الحِجاج البلاغي، ولاسيما في الحديث النبوي الشريف .

المبحث الثّاني
بلاغة الحجاج التشبيهي وأنواعه في الحديث النبوي الشريف
المطلب الأوّل
الحِجاج البياني في الحديث النبوي الشريف

إنَّ آلية الحِجاج النبوي الشريف تعتمد على التأثير والإقناع واستمالة المتلقي عن طريق الحِجاج بصورة بيانية وأسلوب جمالي؛ لأنَّها في أغلب سياقاتها خطابة عالية الفصاحة تهتم بالإقناع مع وجود الدليل والبرهان على عكس الشعر الذي يهتم بالخيال، وهذا عينه ما دعا اليه حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء وهذا يكون عن طريق التأثير في مشاعره وفكره حتى يتقبل نوع الفكرة وقضيتها.

والحديث الشريف هو الخطاب الأمثل في التواصل البشري المثمر والذي استطاع الرسول ﷺ من خلاله أن ينشر الإسلام، وما كان هذا ليحصل لولا بلاغته وفصاحته وإقناعه وتأثيره ﷺ في نفسية المقابل، ذلك أنَّ الحِجاج وسيلة أساسية في خطابه الموجه للناس، وهو يحمل غاية عظمى ورسالة فُضلى، وكان لاهتمام البلاغة النبوية وبخاصة في الدرس الحديث من خلال دراسة تقنيات التأثير والإقناع والبعد الحجاجي للبلاغة العربيّة، فمن أساليب الحجاج البياني في الحديث النبوي الشريف. هو: «نسيج اللغة المفعمة بطابع النبوة التي تشكل – بفضل العصمة – الحديث النبوي الشريف المميز بالإضاءة والإشعاع»(٤٦).

وفي هذا الشأن يقدم الجاحظ قاعدةً بلاغيةً، ومعياراً لمعرفة ميزة كلام الرسول ﷺ عن غيره تتضمن صفات أربع: الصواب، والمنفعة، والموافقة الحالية، والمقامية؛ ذلك لأنَّ المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال(٤٧).

هذه هي أبرز المعايير الأساسية لمعرفة الكلام الشريف.

١. تحقيق الصواب.

٢. تأكيد المنفعة.

٣. الموافقة الحالية.

٤. الموافقة المقامية .

وإذا كان مدار الفرق في الكلام الشريف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وإنَّ لكل مقام مقالاً كما يقول الجاحظ، فهذه الصفات المذكورة في الكلام السابق تنطبق تماماً على الحديث النبوي الشريف الذي هو وحيٌ من عند الله، وهذا ما ذكرهُ الآمدي(ت٣٧٠ه) رحمه الله قال: «إنَّ الكتاب والسُّنَّة وحيٌ من الله قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم: ٣ – ٤ (٤٨) غير أنَّ الكتاب متلوٌّ والسُّنَّة غير متلوّة»(٤٩).

ومن هنا يأتي الشرف الذي معيارهُ الصواب، والمنفعة، وموافقة الحال والمقام، فالعصمة هي العامل الحاسم في تحقيق الاستقامة، والمنفعة والموافقة الحالية والمقامية(٥٠).

ولهذا يأتي الخطاب والحِجاج النبوي الشريف في أرقى مستوى وأعلى درجة من حيث القدرة على الإبلاغ والبلاغة، والإفصاح والفصاحة، والتأثير والإقناع بحكم أنَّهُ صادر من المعصوم الذي هو أفصح العرب قاطبةً، ولا عجب أن تكون الفصاحة صفة في إنجاح وتبليغ كلّ رسالة عظيمة، تجتمع للكلام، ولهيئة

النطق بالكلام، ولموضوع الكلام، ورسولنا محمد ﷺ فصيح في نطقهِ وكلامه وموضوع كلامه[٥١]. والتشبيه هو الدَّلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى، أو أكثر، ومدار فائدة التشبيه على وجه الشبه غالباً، إذ يكون في المشبّه بهِ أكثر ظهوراً، ووضوحاً منه في في المشبّه باستثناء التشبيه المعكوس، ومن ثم فإنَّ هذا الجلاء والوضوح سينسحب على ما يناظره في المشبّه، وهو الغرض المقصود من التشبيه.

وسنبحث في نماذج من التشبيهات النبوية موضحين فاعلية الحِجاج التشبيهي في تصوير الحقائق وإيضاح المفاهيم، وتقريب المعقولات، ومقدار العناية بتوظيفه في مقامات الترغيب والترهيب، والتعليم، والتوجيه، وغيرها؛ لبيان فاعلية الحِجاج النبوي.

أوّلًا : حِجاجِيَّة التَّشبيه

التّشبيه هو ربط بين صورتين، والتشبيه صفة الشيء بما قاربه أو شاكله سواء أكان من جهة واحدة أم من جهات كثيرة، وهو لون بلاغي يقرب بهِ المعنى للمتلقي، وذلك بتوظيف عناصر ومكونات من بيئته، وبما يُحيط بهِ، حتى يكون الخطاب منه أكثر وضوحاً ووصولاً إلى القلب[٥٢].

والتشبيه في الحديث النبوي الشريف يشرح حقائق الدين شرحاً حِجاجياً جمالياً هادفاً وتُسخّرُ فيه عناصر اللغة، وهي وسيلة مهمة لإنتاج المعنى، وتأصيل ما جدَّ من مفاهيم إسلامية، فإنَّ كلّ تشبيه في الحديث النبوي الشريف هو صورة حِجاجية، تهدف إلى تغيير في الموقف الفكري والعاطفي لدى المتلقي، وقد استعمل الرسول ﷺ البيان والتشبيه بكل أشكاله البلاغية (كالاستعارة والتشبيه) والكناية والمجاز المرسل واللغوي، مستمداً صوره من تشبيهات الطبيعة، ومن الفضاء الاجتماعي المعيش آنذاك، وثقافة المجتمع، وعنصر المقام عند المتلقين، وأحوالهم، وتاريخهم وبيئتهم، وغير ذلك.

والتشبيه بأنواعه لهُ أهمية في الحِجاج لما فيه من أُنس للنفوس كما أوضح ذلك عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١ه) ؛ إذ يقول: «إنَّ أُنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردّها في الشيء تعلّمها إيّاه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم»[٥٣].

١. **التشبيه المفرد**: مثل قوله ﷺ: [إنَّ من الشَّجَرِ شجرة لا يسقط ورقها، وإنَّها مَثَلُ المُسلم، فحدّثوني ماهي؟ قال ابن عمر راوي الحديث: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي إنَّها النخلة فاستحييت. ثمَّ قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «هي النخلة»][٥٤].

وهذا الحديث من نوع الاستدلال الاستقرائي الذي يبدأ من الجزء إلى الكل، أو من الخاص إلى العام، وهو

ما يمنح الخطاب حيويّة أكثر، ويجعلهُ أكثر تشخيصاً، ويساعد على جلب اهتمام المتلقي[٥٥].

فشبّه المسلم بالنخلة، ووجه الشبه بينهما كثرة وجوه النفع فيهما، قال القاضي عياض: «وتشبيهها بالمسلم لكثرة خيرها، ودوام ظِلّها وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام: أمَّا في رؤوسها فمن حين تطلع إلى حين تتيبس يؤكل أنواعها، ثم بعد هو ما يُدّخر، فلا ينقطع نفعها، في جميعها منافع، من استعمال جذوعها في البناء والآلات، وجرائدها حطباً ومخاصر ومشاجب وحُصُراً واستعمال ليفها حبالاً وحُطماً، وحشواً للوسائد ... ثم تؤكل رطبة وجُمّاراً فهي منفعة كلها خيرٌ وجمال، وهذا أولى الوجوه، كما أنَّ المؤمن منفعةٌ كلّه وخيرٌ كُلُّهُ، ولاتصاله بأفعال الخير من المواظبة على الصلوات كلّ يوم وليلة»[٥٦] فالمعنى الكلي لتوضيح الحجاج التشبيهي هو أنَّ المؤمن ثابت لا تزعزعهُ المصائب، وهو شاكر صابر، نافع في كلّ حين، جميل الأخلاق، طيب الكلام، وطيب العمل، كثير النفع، ومستمر العطاء. فكان هذا التشبيه في هذا المقام والسياق الذي وضَّحه الرسول ﷺ دليلاً وحجّة ووسيلة حجاجية تهدف إلى توضيح وتقريب الحقائق، والأخلاق، والمنفعة، سواء أكان هذا الوصف حقيقة يعرفها المتلقي أم مجازاً وضَّحه الرسول للصحابة الجالسين أمامه لجلب انتباههم للنفع الواقع من هذه الصورة التشبيهية المعاشة والموجودة أمامهم للنخلة وفضلها، وجمالها، ونفعها فهو مَثل المؤمن أينما حل حلَّ نفعهُ.

٢. **التشبيه المتعدد**: ومن ضمن ممَّا جاء في الحجاج التشبيهي قوله ﷺ: [إنّما مثلُ الجليس الصالح والجليس السَّوءِ كحامل المِسكِ ونافخ الكِيرِ: فحاملُ المسك إمَّا أن يُحذيك، وإمَّا تبتاع منه، وإمَّا أن تجدَ منهُ ريحاً طيبة، ونافِخُ الكِيرِ إمَّا أن يُحرق ثيابك، وإمَّا أن تجد ريحاً خبيثةً][٥٧].

ضمَّ هذا الحديث مجموعة من التشبيهات:

الأول: تشبيه الجليس الصالح بحامل المسك، ووجه الشبه بينهما: تيقن حصول المنفعة بأكثر من وجه في كُلٍّ، وقد فضلت أحوال المشبّه بهِ بما يقرر وجه الشبه في ذهن المُخاطب، إذ لا يقدمُ مجالسة تحصيل الفائدة منهُ، وبيانه: أنَّ حال مجالستهِ تنقسم ابتداءً على قسمين، فإما أن تشتري منه عطراً، وإمَّا لا تشتري منه، وفي هذا القسم فإنّك لن تعدمُ أن يُهديك بعض المسك والعطور، وإمَّا تنصرف من عنده، وقد علقت بك رائحةُ مِسكه الفوّاح. وهنا تحققت المقابلة التامة بين إبعاض طرفي التشبيه بما يزيده تلاحماً وحبكاً، ويفيد تحقيق التشبيه بكمال المشابهة بين طرفيه، وبيان ذلك:

- حال الشراء في المشبّه بهِ تقابل حال التماثل بين المتجالسين في العلم والتقوى والأدب فكل منهما ينتفع

بمجالسة الآخر مثلاً بمثل.

- وحال الإهداء في المشبّه بهِ تقابل حال التفاضُل بين المتجالسين كالعالم والمتعلم، فالعالم في مقام واهب المسك، والمتعلم في مقام الموهوب.
- وحال الريح الطيبة في المشبّه بهِ تقابل حال المتجالسين: الذكر الحسن والصِّيت الطيب والسمعة الحسنة بصحبة الأخيار والصلحاء.

الثاني: تشبيه الجليس السوء بنافخ الكير، ووجه الشبه بينهما: تيقن حصول المضرّة بأكثر من وجه في كُلٍّ، وبيان حرق الثياب في المشبّه بهِ يقابل شؤم المعصية في المشبّه، فإنَّ عقوبتها تصيب صاحبها ومن جالسهُ في ذلك قال تعالى:﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ هود: ١١٣ [٥٨].

- والرائحة الخبيثة في المشبّه بهِ تقابل في المشبّه: سوء سُمعته وقبح صيته بسبب مجالسته من لا خير فيه[٥٩].

وتؤدي هذه المقاربة الحجاجية التمثيلية دوراً حجاجياً مهماً يتعلق بأمر العلاقات، إذ الإنسان بطبعه ميّالٌ إلى مخالطة الناس ومجالستهم، وهذا ما يؤثر في فكره ومنهجه وسلوكه في أمر دينه ودنياه، فهذا الشرح القائم على المقارنة والتشبيه ليوضح ويبيّن أنَّ التأثير حاصل لا محالة، وهذا يؤثر في سمعة المخالط إيجاباً أو سلباً، وهو صورة توضيحية حِجاجية تشبيهية لتوضيح المعاني وتقريبها، وبيان درجات الانتفاع أو المضرّة في كلا الموقفين[٦٠]، وبهذا يتحقق الحِجاج من خلال إبراز نقاط الاختلاف بين الطرفين، وقد شكّلت الأوصاف جزءاً مهماً من هذا التشبيه الحِجاجي، للتوجه نحو اختيار المثال الأنفع والأحسن دون ضغط أو إجبار، ويكون بالخيار بين الموقفين.

٣. **التشبيه المُركّب**: ويسمى تشبيهاً تمثيلياً؛ إذ يكثر التركيب في طرفيه، فيكون المشبّه هيئة مؤلفّة من مجموع عناصر متعالقة تقابلها في المشبّه بهِ هيئة مماثلة وينقسم على نوعين حسيّ وعقلي قال عبد القاهر الجرجاني عنهُ: «وربما انتزع من عدّة أمور يجتمع بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيئين يمزج أحدهما بالآخر، حتى تحدث صورةٌ غير ما كان لهما في حالة الأفراد...»[٦١].

ومن أمثلته في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: [إنَّما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش، وهذه الدواب تقع في النار يقعن فيها، فجعل ينزعُهُنَّ ويغلبنهُ فيتقحمن فيها، فأنا آخُذ بِحُجَزِكُم عن النار، وأنتم تقتحمونَ منها][٦٢].

يوضح هذا الحديث التصوير الحِجاجي للتشبيه المركب وحرصه ﷺ على هداية البشرية إلى الحق والإيمان،

واستنقاذهم من الشرك والكفر، وحمله هذا الحرص البالغ على أن يشق على نفسه، فيحمَّلُها ما لا قِبل لها بهِ، وقد قال الله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ لشدّة حرصه على هذه الأمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣﴾ الشعراء: ٣ (٦٣).

وهذا الحديث يشبه هيئتهُ ﷺ وهو يذود الناس بدعوته عن الوقوع في شرك الضلالة واتباع الشهوات المفضية إلى دخول النار بهيئة من يذبُّ الفراش ونحوه عن الوقوع في النار الموقدة الملتهبة، والفراش يُعاصيه فيتهافت عليها. ووجه الشبه: الحرص على دفع الضرر عمّن لا يأبه بالوقوع فيه وهو تشبيه تمثيلي مركب، وذلك لوفرة التركيب في طرفيه، ووجه الشبه منتزع من متعدد وأكثر من أمر، الفراش، النار، الذائد ... وهو من قبل تشبيه المعقول بالمحسوس.

يستثير الرسول ﷺ في هذا الحديث الصورة البصرية والمخيلة عند المتلقي التي تربط فيها علاقتين متولدتين من نموذجين.

الأولى: الرجل الذي أوقد ناراً فجعل الفراش والدواب يتساقطن فيها، وهو يحاول منعها من الاقتراب خوفاً عليها من الاحتراق.

الثاني: الرسول ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام، والمنقذ لهم من النار، ولكنَّهم يخالفون رسول الله قصد المنفعة، واتباعاً للشهوات والهوى والشيطان، والرسول لا يملك لهم إلاَّ النصح. ومن هنا يكون التشابه بين العلاقتين علاقة الرجل الذي استوقد ناراً مع الفراش والدواب، وعلاقة الرسول ﷺ مع المخالفين لهُ ولمنهجه.

وهنا تكمن القيمة الحِجاجية للصورة في تكثيف المعنى المقصود، وإظهار شفقتهِ البالغة على أمته، وحرصه الشديد عليهم، وكذلك أنَّ في هذا التشبيه الحِجاجي صورة أخرى هي إقناع للمتلقين بعدم الاغترار بظاهر الأمور فالصورة تبيّن أنْ ليست كلّ نار هي ضياء ومنفعة وربما تكون نار مهلكة، وفيها أيضاً صورة تحذيرية من مخالفتهم الرسول ﷺ، وهي صورة بصرية حركية حيّة مستمدة من واقع وأحوال ومعيشة المخاطبين(٦٤).

قال الإمام النووي: «إنَّهُ ﷺ شبّه تساقُط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع مَنعِه إياهم وقبضِه على مواضع المنع منهم بتساقُط الفراش في نار الدُّنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه، ساعٍ في ذلك لجهلهِ»(٦٥).

وقال القرطبي: «هذا مثل لاجتهاد نبينا في نجاتنا، وحرصه على تخليصنا من الهلكات التي بين أيدينا،

ولجهلنا بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا، وظفر عدوِّنا اللعين بنا، صِرنا أحقر من الفراش والجنادِب، وأذلَّ من الطين اللازب»(٦٦).

وهذا التعبير فيه صورة بصرية وصورة إشارية: وهي الصورة التي تعتمد على توظيف الإشارة الحركية للتعبير عن المعنى، والإشارة نوع من أنواع الاتصال غير اللفظي اعتنى بها علم الاتصال الحديث، لما لها من قدرة على التأثير في نفس السامع، وهي وسيلة إقناعية حجاجية عبّرت عن العواطف والانفعالات، وقد استعملها واستعان بها الرسول ﷺ لتقريب صورة التشبيه الحِجاجي المركب لتوصيلها للأذهان وتحقيق الإقناع والتأثير(٦٧).

٤. **التشبيه المقلوب**: الأصل في التشبيه أن يكون وجهُ الشبه أكثرَ ظُهوراً في المشبّه به منه في المشبّه، إذ الغرض الأساسي منه إيضاحُ المشبّه وبيانه، غير أنَّ المبالغة في إثبات وجه الشبه للمشبّه به قد تقتضي قلب التشبيه، فيوضع المشبّه في موضع المشبّه به، من هذا الأمر جاءت تسميتهم بالمقلوب أو المعكوس.

وصورة قليلة جداً في الحديث النبوي الشريف قياساً لبقية التقسيمات ، ومنه قوله ﷺ : [أخبروني بشجرةٍ تشبهُ أو كالرجل المسلم لا يتحاتُّ وَرقُها ولا، تؤتي أكلها كلّ حينٍ] ثم قال: هي [النخلة](٦٨)؛ إذ كان النبي ﷺ يشبه أو يكني بالنخلة عن المسلم دلالة على قوتها وشموخها وثباتها، وخيرها الوفير، فالتشبيه بالنخلة عن المسلم في الحديث الشريف أفادت قيمة حجاجية وتداولية في الوقت نفسه، وهي الإشعار بالمدح أو التعظيم، وهي القوة الإنجازية المستلزمة مقامياً.

قال المناوي: إثبات صفتي الخيرية والنفع للمسلم اقتضت أن تُشبّه به النخلة قال: «(الرجل المسلم) هذا هو المشبّه به، والنخلةُ المشبّه، وكان القياس تشبيه المسلم بها لكون وجه الشبه فيها أظهر، لكن قلب التشبيه إيذاناً بأنَّ المسلم أتمَّ منها في الثبات وكثرة النفع»(٦٩).

وهنا يتلاءم التشبيه الحِجاجي بالشرح مع حالة المتكلم الذي يسعى إلى نقل قناعاته ونقل الصورة إلى المخاطب الذي يرغب في استمالته أو بيان نفعه، وهذا التشبيه والشرح والبسط في المثال يمثل حجته ومعرفته وثمرة خبرته، وهي علامة بذل جهد من أجل الفهم والإفهام للمقابل، وكذلك يتسم عن دراسة ومعرفة وخبرة، لذلك نجد أثر المصداقية والموضوعية، ويبدو إنَّ أهمية هذا الشرح المفهومي للمثال وتبسيطه للسامع، يحثّ على الاستيعاب والإنصات الذي يسبقه استمالة جهود إقناعية بسبب ضبابية الفهم عند المقابل. وهذا الشرح الإقناعي للرسول ﷺ يهدف إلى وسائل عدة هي: (١) التشبيه (٢) المقارنة (٣) التعريف (٤) الوصف (٥) استظهار الأحداث.

فكان هذا الوصف الحِجاجي والتشبيهي في حديث الرسول ﷺ في هذا المقام والسياق دليلاً وحُجَّة تصب في صالح الدعوة وتوضح للصحابة قيمة الوضوء وأجر الصلاة، وكذلك بيان نظافة هذا الدين وانعكاسها على شخص المصلي، وهي نظافة حسيّة، ومعنوية صريحة، ومجازية، كلّ هذه البسط، وجدناه في هذا الحديث الشريف.

الخاتمة

في خاتمة وخلاصة هذا البحث توصلنا للنتائج الآتية:

١. الحِجاج في اللغة والفلسفة واستعماله في الخطاب الإقناعي هو ينتج عن فن الجدل والحوار عند العرب وغيرهم.

٢. إنَّ للحجاج النبوي التشبيهي لهُ علاقة وطيدة بالبلاغة العربيّة القديمة والحديثة هدفها الإقناع والجمال اللغويّ.

٣. إنَّ الحجاج البلاغي التشبيهي يتصف بالجمالية التأثيرية والمقاصدية الإقناعية بعد أن يختار الألفاظ ودلالتها من قربها للسامع وتداولها البيئي المعاش ليوازن ويوازي مستوى السامع والمتلقي.

٤. اتسمت حجاجية الأحاديث النبوية التشبيهية بالوضوح أمام المخاطب وتحاكي وجدانه وشعوره وبيئته ولغته.

٥. غطت الأحاديث الحجاجية التشبيهية كلّ أنواع ومقاصد وتقسيمات التشبيهات البلاغية عند أهل الصنعة وجاءت متوازنة في تقسيماتها إلاَّ في حجاجية التشبيه المعكوس، وكانت قليلة قياساً لغيرها من التقسيمات البلاغية لأنواع التشبيه.

٦. كان لحضور الحِجاج التشبيهي الأثر البالغ في ترسيخ الإيمان لدى المتلقي وقوة إقناعية وبلاغية تبصرية عملت على نشر الدين والدفاع عنه.

٧. كانت حجاجيات التشبيه النبوي الشريف في أحاديثه على شكل أفعال أنجزت بأقوال غلب عليها طابع التوجيه والإرشاد للرسول ﷺ ناصحاً لجميع المسلمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهوامش

١ – ينظر: معجم مقاييس اللّغة: ٢/ ٣٠.

٢ – لسان العرب: ٢/ ٥٧٠. والحديث في فتح الباري شرح صحيح البخاري برقم: ٦٢٤٠ و٩٨٥٢.

٣ – التعريفات: ٧٣.

٤ – ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية: ١٦.

٥ – ينظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم: ٢/ ١٥ – ١٧، وينظر: الحجاج في النص القرآني سور الحواميم أنموذجاً: ٧.

٦ – ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي: ١٠٩.

٧ – ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ١٩٢ – ١٩٤ مادة (حجج).

٨ – صحيح البخاري: ١٨٤٠.

٩ – ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف: ١/ ٤٢١ – ٤٢٢.

١٠ – ينظر: البداية والنهاية: ٣/ ١٠.

١١ – ينظر: النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع: ٤٤، وينظر: تجليات الحجاج في سورة يوسف: ١٧.

١٢ – ينظر: حجاجية الخطاب في الحديث النبوي الشريف – دراسة نماذج مختارة: ٧، وينظر: الحجاج في الحديث النبوي الشريف: ٣٢، وتأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية: ١٤٣.

١٣ – ينظر: الوجيز في علوم الحديث: ٣٢.

١٤ – البيان والتبيين: ٢/ ٨ – ٩.

١٥ – البيان والتبيين: ١/ ٨٨، وينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ٢١١.

١٦ – ينظر: الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث: ٤.

١٧ – البيان والتبيين: ٢/ ١٧، وينظر: الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث: ٤.

١٨ – البرهان في وجوه البيان: ١٧٦، وينظر: الحجاج في الخطاب النبوي أحاديث المعاملات: ٢٠.

١٩ – ينظر: البرهان في وجوه البيان: ٢٢٤ – ٢٢٥، والحجاج في ضوء البلاغة: ٧.

٢٠ – الصناعتين: ٢٠.

٢١ – ينظر: المنهاج في ترتيب المنهاج: ٨، والحجاج والمغالطة دراسة تداولية في سورة الفرقان: ٣٦.

٢٢ – كتاب الصناعتين: ٢٧، وينظر: الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف مقاربة تداولية: ٢٣٩.

٢٣ – الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف مقاربة تداولية: ١٣٥، وينظر: الأساليب الطلبية .. مقاربة تداولية: ٢٣٩.

٢٤ – مفتاح العلوم: ٤٣٩.

٢٥ – ينظر: خلاصة المنطق: ٤٨.

٢٦ – مفتاح العلوم: ٢١٨، وينظر: الأساليب الطلبية ... مقاربة تداولية: ٢٤٠.

٢٧ – ينظر: الحجاج والمغالطة دارسة تداولية: ٣٧.

٢٨ – ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر: ٨٥، وتاريخ نظريات الحجاج: ١٩.

٢٩ – ينظر: البلاغة تطور وتاريخ: ٣٩.

٣٠ – الحجاج مدارس وأعلام: ٢/ ١٠.

٣١ – ينظر: تاريخ نظريات الحجاج: ٢٧، والحجاج في سور الحواميم أنموذجاً: ٢١.

٣٢ – الحجاج عند أرسطو: ٧٨.

٣٣ – ينظر: بلاغة الإقناع في المناظرة: ٣١، والحجاج في سور الحواميم أنموذجاً: ٢١.

٣٤ – ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ٣٦، وينظر: الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً: ٢٧.

٣٥ – ينظر: نظريات الحجاج: ٢٢ .

٣٦ – الخطابة: ٨٧.

٣٧ – ينظر: الحجاج والاستدلال الحجاجي: ١٢٧، والحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً: ٢٨.

٣٨ – ينظر: الحجاج في القرآن الكريم من خلال خصائصه الأسلوبية: ٢.

٣٩ – ينظر: الحجاج في الدرس اللغويّ: ١/ ٢٠، وينظر: الحجاج وآلياته في الحديث النبوي الشريف: ٢٤١.

٤٠ – ينظر: تجليات الحجاج في سورة يوسف: ٥٧، وينظر في نظرية الحجاج: ١١.

٤١ – ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ١٠٢، والحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً: ٢٧.

٤٢ – ينظر: في اللسانيات التداوليّة: ١٠٧، وينظر: الحجاج في النص القرآني: ٣٢.

٤٣ – ينظر: الحجاج في القرآن الكريم: ٤٢، وينظر: تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجاً: ٥٢.

٤٤ – ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ٣٤٦، وينظر: تجليات الحجاج في القرآن سورة يوسف أنموذجاً: ٦٤.

٤٥ – اللغة والحجاج: ١٤، وينظر: الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً: ٢٧ – ٢٨.

٤٦ – الجديد في مناهج تفسير الحديث وتطبيقاته: ٢٣، وينظر: خصائص البنى التركيبية في الحديث الشريف: ١٠.

٤٧ – ينظر: البيان والتبيين: ١/ ١١٣، والعمدة: ١/ ١٢٤.

٤٨ – النجم: ٣ – ٤.

٤٩ – الإحكام في أصول الأحكام: ٣/ ١٥٠، وينظر: خصائص البنى التركيبية في الحديث الشريف: ١٠.

٥٠ – ينظر: خصائص البنى التركيبية في الحديث الشريف: ١٠.

٥١ – ينظر: عبقرية محمد: ٢٦.

٥٢ – ينظر: الأبعاد الحجاجية في الصورة البيانية في الخطاب النبوي: ١٥١، وينظر: حجاجية الخطاب في الحديث النبوي الشريف دراسة في نماذج مختارة: ٨٦.

٥٣ – أسرار البلاغة: ٢١، وينظر: الحجاج في الحديث النبوي الشريف دراسة تداولية: ٢٧٣.

٥٤ – البخاري رقم ٦١، ومسلم رقم ٢٨١١، وينظر: تيسير البلاغة النبوية: ٢٢٨.

٥٥ – ينظر: دروس في الحجاج الفلسفي: ٢٣، والحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية: ٣٣١.

٥٦ – إكمال المُعلم: ٨/ ٣٤٥ – ٣٤٦.

٥٧ – رواه البخاري برقم (٥٥٣٤) ومسلم برقم (٢٦٢٨) برواية أبي موسى الأشعري.

٥٨ – هود: ١١٣.

٥٩ – ينظر: دليل الفالحين: ٢/ ٢٢٩، وتيسير البلاغة النبوية: ٢٦٤ – ٢٦٥.

٦٠ – ينظر: الحجاج في الحديث النبوي الشريف دراسة تداولية: ٣٦٥.

٦١ – أسرار البلاغة: ١٠١.

٦٢ – رواه البخاري برقم (٦٤٨٣)، ومسلم برقم (٢٢٨٤).

٦٣ – الشعراء: ٣.

٦٤ – ينظر: تيسير البلاغة النبوية: ٢٦٨، والحجاج في الحديث النبوي الشريف دراسة تداولية: ٢٧٥.

٦٥ – شرح صحيح مسلم: ١٥/ ٥٠، وينظر: تيسير البلاغة النبوية: ٢٦٨.

٦٦ – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٦/ ٨٧.

٦٧ – ينظر: الحجاج في الحديث النبوي دراسة تداولية: ٢٧٧.

٦٨ – رواه البخاري عن ابن عمر برقم (٤٦٩٨).

٦٩ – فيض القدير: ١/ ٢٠٦.

المصادر

القرآن الكريم .

١. علي بعداش، الأبعاد الحجاجية في الصور البيانية في الخطاب النبوي، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد الرابع والعشرين، حزيران لسنة ٢٠١٧، جامعة محمد لمين، سطيف ٢، الجزائر.

٢. د. الجمعي حميدات، الأساليب الطلبية وادعاءاتها الإبلاغية في الحديث النبوي الشريف (مقاربة تداولية) – قسم اللغة العربيّة، كلية الآداب واللغات، جامعة حمد الأمين دباغين، سطيف ٢، ط١، ٢٠١٥.

٣. عبد القاهر الجرجاني،أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني، جدة، ط١، ١٩٩١

٤. القاضي عياض بن موسى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩٨.

٥. إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط٢، ١٩٩٠.

٦. أبو الحسن إسحاق بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، مصر، ٢٠٠٠.

٧. د. شوقي ضيف،البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط١٢، ٢٠٠٩.

٨. عثمان بن عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان – بيروت، ط٢، ١٩٩٠.

٩. تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور معاصر، د. مجدي الكيلاني، دار التنوير، ط١، ٢٠٠٨.

١٠. فيليب بروتون وجيل جوتيه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: د. محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط١، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.

١١. عبد الملك بو منحل، تأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية، مخبر المثاقفة العربيّة في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين سطيف ٢، الجزائر.

١٢. حياة دحمان، تجليات الحجاج في القرآن الكريم، سورة يوسف أنموذجاً، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، ٢٠١٣.

١٣. أحمد عثمان رحماني، الجديد في مناهج تفسير الحديث الشريف، عالم الكتب الحديث، أربد – عمان، ط١، ٢٠١١.

١٤. محمد سالم محمد الأمين،الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في مجلة عالم الفكر، ١٩٩٨.

١٥. آمال يوسف المغامسي، الحجاج في الحديث النبوي الشريف – دراسة تداولية – الدار المتوسطية للنشر، ط١، ٢٠١٦.

١٦. نور الدين بوزناشة، الحجاج في الدرس اللغويّ العربي، مجلة العلوم الإنسانية، عدد ٤٤ لسنة ٢٠١٠م.

١٧. عبد الله حولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧.

١٨. هاني يوسف أبو غليون، الحجاج في النص القرآني (سُور الحواميم أنموذجاً)، رسالة ماجستير في الأدب والنقد، جامعة مؤتة، عمان – الأردن، ٢٠١٨.

١٩. د. عبد الرحمن بن حميدي المالكي، الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، جامعة الفيصل، كلية الأمير سلطان، العدد التاسع عشر لسنة ٢٠١٨، مجلة البحث العلمي في الآداب، ج٢.

٢٠. حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مدارس وأعلام، ج٢، عالم الكتب الحديث، أربد – الأردن، ط١، ٢٠١٠.

٢١. حبيب أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي – عناصر استقصاء نظري، عالم الكتب الحديثة، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠١.

٢٢. حجاجية الخطاب في الحديث النبوي الشريف – دراسة نماذج مختارة – إعداد بورقعة سهام – رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة د. مولاي الطاهر – سعيدة – الجزائر، ٢٠١٧ – ٢٠١٨.

٢٣. علي بعداش، خصائص البنى التركيبية للخطاب النبوي الشريف في صحيح مسلم – مقارنة تداولية – أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربيّة، جامعة محمد لمين دباغين سطيف ٢، الجزائر، ط١، ٢٠١٦.

٢٤. يحيى بن شرف النووي، شرح صحيح مسلم، المطبعة المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٤٩هـ.

٢٥. صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار الكتب العلمية، لبنان، ط٢، ١٩٨٩.

٢٦. صحيح البخاري محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١، ١٩٥٩.

٢٧. عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط.

٢٨. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٧.

٢٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، راجع أحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، ومجد الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط١، ١٩٨٦

٣٠. لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار صادر، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٧.

٣١. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف، أ. ي، فنسنك، مكتبة بريل، ليدن.

٣٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، القاهرة.

٣٣. معجم مصطلحات النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، ٢٠٠١.

٣٤. مفتاح العلوم، السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٣٥. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٩٩.

٣٦. مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ط١.

٣٧. الوجيز في علوم الحديث، محمد عجاج الخطيب، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط١، ١٩٨٩م.